Conditions of the Mora Peninsula between the years (1382-1460)

Dr. Suhail Zoukar •
Nadeem khalil laika •*

(Received 7 / 7 / 2019. Accepted 8 / 9 / 2019)

□ ABSTRACT □

The Mora peninsula was one of the Byzantine regions occupied by the Crusaders in the fourth Crusade and the Byzantines regained their influence following the victory of Micheal VIII Palaiologos (1259-1282) over William II Villehardouin (1246-1278 AD) In the year 1259 AD, since the end of the fourth Crusade, the Mora peninsula had witnessed the establishment of a number of Latin Americans in the region. The Venetian ruled various parts of the Peloponnese. The Byzantines gave great importance to it and made it autonomous. However, their aspirations collided with the Ottoman ambitions and the Latins In particular the state of internal rebellion by the aristocratic landowners, which forced the inhabitants of the Mora peninsula to adapt to the situation of the power struggle surrounding it to control the area of the Peloponnesis. Therefore, their policy varied and changed towards those forces, And the subsequent dependence and hostility and confrontation, which led to the weakness of the region and the lack of resources due to the proliferation of foreign wars and internal rebellions, in addition to other factors related to the nature of the Turkish invasion on the one hand and the turbulent conditions suffered by the Byzantine Empire on the other hand, T ultimately fell to the Ottomans.

• **Professor, Department of History, University of Damascus, Damascus, Syria.**
•* **Postgraduate student (PhD) - Department of History - University of Damascus - Damascus - Syria.**

أوضاع شبه جزيرة المورة
بين عامي (1382-1460م)

د. سهيل زكار●

نديم خليل لايقة●*

(تاريخ الإيداع 7 / 7 / 2019. قبل للنشر في 8 / 9 / 2019)

□ ملخّص □

كانت شبه جزيرة المورة من المناطق البيزنطية التي احتلها الصليبيون في الحملة الصليبية الرابعة واستعاد البيزنطيون نفوذهم فيها عقب الانتصار الذي حققه ميخائيل الثامن باليولوجس Micheal VIII Palaiologos (1259-1282م) على أمير آخيا وليم فلهاردوينWilliam II Villehardouin (1246-1278م)، وذلك خلال معركة بلاجونيا عام 1259م، وكانت شبه جزيرة المورة منذ نهاية الحملة الصليبية الرابعة، شهدت إنشاء عدد من الإمارات اللاتينية في المنطقة، وسيطرت البندقية على أجزاء مختلفة من البيلبونيز، وقد أعطى البيزنطيون أهمية كبيرة لها، وجعلوا فيها حكم ذاتي إلا أن طموحاتهم اصطدمت مع الأطماع العثمانية واللاتينية للسيطرة على تلك المنطقة، ولا سيما حالة التمرد الداخلية من قبل ملاك الأراضي الارستقراطيين، مما حتم على سكان شبه جزيرة المورة التكيف مع تلك الحالة من صراع القوى الدائرة من حولها للسيطرة على منطقة البيلبونيز، لذا تنوعت سياستهم وتبدلت تجاه تلك القوى فتأرجحت ما بين الخضوع والتبعية حيناً والعداء والمجابهة حيناً آخر، مما أدى إلى ضعف المنطقة وقلة مواردها نتيجة لكثرة الحروب الخارجية والتمردات الداخلية، وذلك بالإضافة إلى عوامل أخرى تتعلق بطبيعة الغزو التركي من جهة وبالأحوال المضطربة التي كانت تعاني منها الإمبراطورية البيزنطية من جهة أخرى، التي أدت في نهاية الأمر إلى سقوطها بيد العثمانيين.

● أستاذ-قسم التاريخ-جامعة دمشق-دمشق-سورية.

●*طالب دراسات عليا (دكتوراه)- قسم التاريخ- جامعة دمشق-دمشق-سورية.

مقدمة:

كانت شبه جزيرة المورة منذ نهاية الحملة الصليبية الرابعة، شهدت إنشاء عدد من الإمارات اللاتينية في المنطقة، وسيطرت البندقية على أجزاء مختلفة من البيلبونيز، وأصبح عدم الاستقرار السياسي سمة ثابتة تتميز به تلك المنطقة، وكان الإمبراطور يوحنا كانتاكوزين John VI Kantakouzenos (1347–1354م) قد أعطى المورة أهمية كبيرة وجعل بها حكم ذاتي، وعمل على تعيين ابنه مانويل Manuel (1348–1380م)، حاكم عليها والذي استطاع بدوره أن يثبت حكمه فيها من خلال الحد من سلطة ملاكي الأراضي فيها، كما استطاع إقامة جو من المودة والتوافق مع اللاتين في المناطق المجاورة والذي أفضى بدوره إلى تشكيل تحالف لاتيني بيزنطي قاد بدوره للانتصار على العثمانيين في معركة ميجارا Megar الواقعة إلى الغرب من أثينا Athena وبذلك حافظت المورة على استقرارها حتى وفاة مانويل عام 1380م.

وقد أدى موت مانويل إلى انتشار الفوضى وعدم الاستقرار في المورة نتيجة إعلان البارونات تمردهم على خليفته متى كانتاكوزين Matthew 1380–1383م، الذي كان كبير في العمر ولم يكن باستطاعته إحكام السيطرة على الأوضاع، الأمر الذي دفع يوحنا الخامس باليولوجس John V Palaliologos 1341–1391م، إلى إحكام سيطرته على المورة خوفاً من استعادة سيطرة اللاتين عليها أو وقوعها بيد العثمانيين، لذلك عمل على تعيين ابنه تيودور الأول باليولوجوس Theodore. I Palaiologos حاكماً على المورة لإعادة السيطرة ونشر الاستقرار فيها.

وعلى الرغم من كل محاولات البيزنطيين الحفاظ على شبه جزيرة المورة تحت سيطرتهم إلا أن تزايد الحصار البيزنطي وتحريض البندقية على التمردات الداخلية والصراعات الداخلية بين حكام المورة كل ذلك مهد الطريق لسقوط المدينة بيد العثمانيين.

اشكالية البحث:

شهدت شبه جزيرة المورة دون غيرها من أجزاء الامبراطورية البيزنطية خلال العقود الأخيرة من عمر الامبراطورية حالة من الهدوء والاستقرار ساعدت على قيام نهضة سياسية وحضارية بها، وأخذ حكامها في طرح النظريات التي تهدف إلى الدعم الاقتصادي للمورة وبناء جيش وطني قوي من أجل درء الخطر العثماني الزاحف نحو البيلوبونيز.

لذلك من الضروري دراسة الظروف الاجتماعية في المورة منذ إنشاء آل باليولوجيس حكمهم هناك في عام 1382م، مع إيلاء اهتمام خاص لعلاقات الأرستقراطية المالكة للأراضي مع حكام المورة البيزنطيين من خلال هذا الفحص للظروف الداخلية السائدة في المورة بين عامي (1382 و 1460م)، سيكون من الممكن تكوين فهم أفضل للمواقف السياسية لسكان شبه جزيرة المورة نحو العثمانيين واللاتينيين ، ومتابعة التقلبات في السياسة الخارجية المتبعة من قبل الحكومة في ميسترا خلال هذه السنوات.

أهمية البحث وأهدافه:

تأتي أهمية البحث أوضاع شبه جزيرة المورة بين عامي(1382–1460م) كونه يسلط الضوء على الهيكل الاجتماعي–السياسي والاجتماعي–الاقتصادي لشبه جزيرة المورة، الذي أعطى فرصة للمنافسات المستمرة بين الأرستقراطية المحلية

والحكومة المركزية، والتي شغلت دوراً بارزاً في الخيارات والمواقف السياسية التي كان يتخذها الناس فيما يتعلق بالقوى الأجنبية الخارجية.

منهجية البحث:

للإجابة على هذه التساؤلات والإلمام بجوانب الموضوع، سيتم إتباع المناهج العلمية الموضوعية استناداً إلى الوثائق والمصادر المعتمدة العلمية المتوفرة التي تخص البحث، والموجودة في المصادر والمراجع المتعلقة بتاريخ الإمبراطورية البيزنطية والعثمانية بشكل عام، ومنطقة البيلبونيز بشكل خاص، ودراستها وتحليلها بطريقة تفيد إيضاح حالة الصراع التي كانت قائمة في منطقة البيلبونيز خلال تلك المرحلة، وعلى أساس أن التاريخ خبر ورؤية.

أولاً: الأوضاع داخل شبه جزيرة المورة بين عامي 1382–1407:

شهدت السنوات التي سبقت عام 1380م ظهور قوة جديدة شكلت تهديداً حقيقياً لشبه جزيرة المورة Morea– متمثلة بالنافاريين Navarrese – الذين بدأوا بشن غارات مستمرة عليها، وعملوا على تحريض ملاك الأراضي داخلها للثورة والعصيان ضد حاكم الجزيرة البيزنطي متى كانتاكوزين 1380–1383م، شقيق مانويل الأكبر Matthew، والذي تولى حكم شبه الجزيرة خلال الحقبة الفاصلة بين وفاة مانويل في نيسان عام1380م، ووصول تيودور الأول باليولوجوس في شتاء عام 1382–1383م، حيث كان متى كانتاكوزين طاعناً في السن وغير قادر على ضبط الأوضاع داخل حدود الجزيرة، مما جعل الآمال تتعلق بالحاكم تيودور الأول لاستعادة الاستقرار في المورة[1].

إضافة إلى التهديد الذي شكله النافاريين كانت شبه جزيرة المورة مركزاً لتنافس وصراع عدة قوى تطمع في السيطرة عليها منها كورنثة، وأثينا، والقطلان Catalan، والبنادقة، والعثمانيين الذين كانوا يرغبون في مد سيطرتهم على كامل البلقان والبيلوبونيز، وفي هذا الوقت الحرج الذي كانت المورة بأمس الحاجة للمساعدة العسكرية ضد أعدائها كانت الاتصالات مع القسطنطينية منقطعة والتي كانت تعاني من صراعات واضطرابات داخلية[2].

هكذا كانت الأوضاع العامة في شبه جزيرة المورة مع وصول تيودور الأول باليولوجوس (1383– 1407م)، فإنه خلال معركة قوات تيودور ضد النافاريين، تم العثور على العديد من الأرستقراطيين اليونانيين يقاتلون إلى جانب العدو، وبالتالي فمن الواضح أن معارضة بعض أعضاء الأسر الأرستقراطية المحلية لتيودور الأول وتعاونهم مع النافاريين، قد أطال أمد الحرب الأسرية، التي بدأت منذ أوائل عام 1380م، والتي يبدو أن ملاك الأراضي في المنطقة وجدوا فيها أداة مناسبة لتعزيز استقلالهم عن السلطة المركزية التي يمثلها الحاكم تيودور الأول[3].

لم يكن لدي تيودور لمواجهة أعدائه الداخليين والخارجيين خلال السنوات الأولى من حكمه، ما يكفي من المال والعتاد العسكري؛ بسبب الحرب الأهلية، ولذلك على الفور سعى في البداية إلى استرضاء الطبقة الأرستقراطية من خلال منحهم أراضي جديدة، من أجل تعزيز السلام ووضع حد للخلاف السائد ، وفي الوقت نفسه تحالف مع نيري أكيايولي Neri Acciajuoli دوق كورنثة 1371–1394م، الذي كان لديه عدو مشترك وهم النافاريين إلا أن أكيايولي لم يشارك في القتال ضد النافاريين خشية إثارة غضبهم، فهو كان يرغب في التحالف معهم ضد القطلان لرغبته في

طردهم من أثينا والسيطرة عليها[4]، وعندما لم يثبت هذا التحالف ثماره بالنسبة لتيودور، ناشد البندقية في العام التالي للمساعدة ضد أعدائهم النافاريين والعثمانيين.

على الرغم من عرض تيودور بالتنازل عن بعض أراضيه في منطقة المورة لصالح البندقية مقابل المساعدة ضد النافاريين، فقد رفض مجلس الشيوخ داخل البندقية ذلك العرض خوفاً من رد فعل النافاريين في قيامهم ببيع ميناء نافارينو Navarino في البيلوبونيز إلى جنوة، والذي سيكون ضاراً جداً بالمصالح البندقية.

نتيجة الإحباط الذي أصاب تيودور من عدم جدوى نهجه السلمي تجاه رعاياه الأرستقراطيين الذين استمروا في تمردهم وتعاونهم مع النافاريين وغيرهم من القوى الأجنبية، ونتيجة عدم قدرته على مواجهة المطامع اللاتينية، وعدم قدرته على الحصول على دعم من البندقية دفع تيودور خلال السنة الخامسة من حكمه لطلب المساعدة من العثمانيين.

يبدو أن تيودور لم يلجأ إلى السلطان مراد الأول، وعقد تحالف رسمي معه إلا عندما وجد أن قائد الجيش العثماني إورينوس بك Evrenos Beg، ورجاله قد ألحقوا من الخراب والدمار في أراضي أتباعه ورعاياه أكثر مما ألحقوه بأعدائهم من القوات النافارية والأرستقراطيين اليونانيين الذين كان في صراع معهم[5].

قد يكون قرار تيودور الأول بتقديم ولاءه لمراد الأول في هذا الوقت قد تأثر بالسيطرة العثمانية على مدينة سالونيك، كما هو حال شقيقه مانويل الثاني، الذي تبنى من جانبه بعد سقوط سالونيك سياسة تصالحية تجاه السلطان العثماني، وبدأ تيودور نتيجة الدعم العثماني له في تأكيد سلطته على البيلوبونيز كما شرع في اتخاذ تدابير قمعية ضد رعاياه المتمردين على سلطته.

كان على تيودور أن يتحمل نتائج الارتجالية والتخبط في إدارته لحكم المورة، فسياسة التنقل من حليف لآخر، والتي وصلت به إلى حد التحالف مع العثمانيين حتمت عليه دفع الثمن للعثمانيين، ومع تعدد شكوى أمراء اللاتين لدى السلطان العثماني بايزيد الأول التي لجأت إليه للفصل في النزاع الذي نشب بينهم وبين تيودور حيث نصب بايزيد نفسه حكماً بين أمراء المورة ودعا الجميع للحضور في مدينة سيرس Seress في ربيع عام 1394م[6]، وقد لبى الدعوة كل من الإمبراطور مانويل وشقيقه تيودور وأمراء اللاتين[7]، وخلال ذلك ضغط السلطان بايزيد على تيودور أن يكف عن ممارساته العدائية وتهديداته لأمراء اللاتين، ومطالبته أيضاً بالتنازل عن بعض أملاكه ولكن تيودور رفض وفر هارباً[8]، وتحصن داخل المورة تحسباً لأي هجوم عثماني عليه، وطلب المساعدة من البندقية التي رحبت بذلك وقد تقدم بايزيد في ذلك الوقت واحتل كلاً من لمنوس وتساليا، وأجل تأديب تيودور على هروبه واتجه إلى ما هو أكثر أهمية وهو حصار القسطنطينية[9].

وقد رأى السلطان بايزيد أن الأمر يتطلب التصرف بحزم حيال خداع تيودور وفراره من سيرس، فبادر بأرسال جيش كبير بقيادة إورينوس بك الذي وصل إلى البيلبونيز م نهاية عام 1394م ومطلع 1395م، وقد انضم إليه جماعة النافاريين العدو التقليدي لتيودور الأول. وتمكنوا من هزيمة قواته أسفل أسوار كورنثه، كما قاموا بالاستيلاء على بعض الحصون البيزنطية وتبع ذلك حالة من الهدوء والاستقرار لانشغال الغرب الاوربي مع السلطان العثماني بايزيد في

معركة نيفوبولس عام 1396م حاول خلالها تيودور إصلاح بعض ما خلفه الجيش التركي من دمار، وتشير بعض الروايات إلى هجوم آخر للجيش العثماني على المورة في العام التالي حيث توجهت بعض القوات العثمانية إلى شبه جزيرة المورة للتضييق على حاكمها تيودور باليولوج في صيف عام 1397م كان الغرض من هذه الغارة هو تأديب تيودور الذي رفض التنازل عن أرجوس Argos ومنمبازيا Menembasia في مجمع سيرس للسلطان العثماني[10]، وعندما يئس تيودور من تزايد الضغط العثماني لجأ إلى البندقية طلباً للمساعدة ولكنها رفضت خوفاً على تجارتها في المنطقة، عندئذ لجأ إلى فرسان رودس وعرض عليهم مدينة كورنثة عام 1397م، وعاد في عام 1399م فعرض عليهم التنازل عن الإمارة بأكملها مع احتفاظه بحق الشراء وهو الحق الذي استخدمه تيودور بعد ذلك من خلال استعادتها فيما بعد، وتمت الصفقة ونجح الفرسان في تخفيف الضغط العثماني عن المورة بشكل مؤقت، إلا أن العثمانيين تمكنوا من تحقيق انتصارات عديدة وعبروا مضيق كورنثة وأخضعوا البليبونيز لسلطانهم[11]، و وظهرت عبقرية السلطان العثماني من خلال حرصه على التعامل مع كل من الإمبراطور البيزنطي في القسطنطينية وتيودور في المورة على حدة، بحيث أن أي اتفاق مع الإمبراطور لا يكون سارياً على المورة والعكس صحيح، الأمر الذي زاد من إرهاق العاصمة البيزنطية اقتصادياً وعسكرياً وزاد من الروح الانفصالية بين الإمبراطورية وهذا الجزء الحيوي منها، إضافة إلى قيام السلطان العثماني على تغيير التركيبة السكانية في المناطق التي سيطر عليها حيث حمل معه عقب النصر حوالي ثلاثين ألفاً من الأسرى الإغريق من لاكونيا Lacons وميسينيا Messenia وآخيا Achaia وأرجولس Argolis إلى آسيا الصغرى ووطن بدلاً منهم أسر تركية[12].

أمام المعارضة في الداخل والخارج لم يجد تيودور الأول مفراً من فك الارتباط مع فرسان رودس، وقد شجعه على ذلك انشغال السلطان العثماني بايزيد في صراعه مع تيمورلنك والذي انتهى بهزيمته وأسره في معركة أنقرة Ankaraعام 1402م.

وهكذا كان لهزيمة العثمانيين في موقعة أنقرة وانشغالهم بالنزاع الداخلي على الحكم أثره في منح الأمل لشبه جزيرة المورة لتعيش في أمان لبعض الوقت، وعاش تيودور ما تبقى من عمره حتى وفاته 1407م في هدوء تام. ورحل دون أن يضيف أي مزايا للمورة، حيث إن سياسته الارتجالية جرفته إلى مزيد من المعارك دون أن يكون مهيئاً لها.

المورة بين عامي 1407-1449م:

بوفاة تيودور الأول عام 1407م، خلفه ابن أخيه تيودور الثاني باليولوجوس Theodore II Palaiologos الذي استمر حكمه من عام 1407 إلى عام 1443م، وعلى الجانب العثماني كان السلطان العثماني محمد الأول 1413-1421م قد انهى الحرب الأهلية التي اندلعت عقب معركة أنقرة واستعاد وحدة دولته واتصف حكمه بالمرونة واعترف بالجميل تجاه الإمبراطور البيزنطي الذي قدم له المساعدات في صراعه ضد شقيقه موسى، وأعاد له كل الأراضي التي استولى عليها موسى قبل ذلك على البحر الأسود وبحر مرمرة وكذلك تساليا[13].

استقبل السلطان الجديد سفراء الدول والولايات الأوربية مثل الصرب وألبانيا وولاشيا والبندقية والمورة وقد تعهدوا بإقامة علاقات طيبة معه[14].

وقد استغل الإمبراطور البيزنطي أيضاً ذلك الهدوء وغادر عاصمته متجهاً إلى المورة للإشراف على دفاعات هذا الجزء الحيوي من دولته، حيث في ربيع عام 1415م شرع في تدعيم أسوار المدينة فأقام حائط عرف باسم هكسمليون Hexmilion، وحصنه بالأبراج فأنشأ فيه ما يقرب من المائة وخمسين برجاً ولاشك أن ذلك أكد سلطة الدولة على هذا الجزء الحيوي منها[15]، وعندما غادر الإمبراطور البيزنطي مانويل المورة عائداً إلى عاصمته ترك ابنه يوحنا الثامن لمساعدة ابنه الآخر تيودور الثاني في حكمها، وكان تواجد الإمبراطور في المورة دافعاً لحاكمها تيودور في صراعه مع اللاتين في آخيا Achaia عندما نشبت الحرب بين تيودور وسنتريوس زكريا Centurione Zeccaria الذي أوشك أن يفقد إمارته لولا تدخل البندقية لإحلال السلام بينهما[16].

وفي إطار جهود تيودور لدعم وجوده في المورة قام بعمل مصاهرة دبلوماسية حيث تزوج من أميرة إيطالية تمت بصلة القرابة إلى البابا مارتن الخامس، ويبدوا أن الدافع وراء ذلك هو الرغبة في سكوت البابوية عن صراع آل باليولوج ضد الإمارات اللاتينية في المورة حيث كان تيودور في ذلك الوقت يقوم بغاراته على أملاك البندقية في مودون Modon واستولى على أملاك الكنيسة الكاثوليكية فيها[17].

أدى ظهور قوات السلطان مراد الثاني Murad II 1421–1451م أمام أسوار القسطنطينية 1422م، إلى تغلغل الخوف داخل نفس تيودور الثاني الأمر الذي دفعه للتوجه في عام 1422م إلى البندقية طالباً المساعدة والتي تعهدت بتقديم المساعدة له في حال تعرضه للخطر العثماني مقابل تنازله عن مقاطعتي مودن وكورن Modon, Corn، وتم الاتفاق في أواخر شباط عام 1423م[18] مقالة دوقية المورة.

على الرغم من التنازلات التي قدمها تيودور للبندقية إلا أن البندقية لم توفي بوعدها في الدفاع عنه أمام الخطر العثماني عندما أقدم السلطان مراد الثاني في ربيع عام 1423م بتوجيه جيوشه نحو المورة حيث دمر سور الهكسمليون ولم ينهي هجومه إلا بعد تعهد تيودور بدفع جزية سنوية والتخلي عن بعض المدن، وقد تركت البندقية تيودور يواجه مصيره وحيداً دون تقديم أي عون لعدم رغبتها في إثارة غضب السلطان مراد حفاظاً على مصالحها التجارية[19].

أدرك الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثامن أن الاستقرار في منطقة البيلبونيز لن يتحقق إلا في حال القضاء على التواجد اللاتيني فيها، ونتيجة انشغاله في أموره الداخلية في القسطنطينية، ولعلمه بضعف قدرات أخيه تيودور قام بإرسال أخيه قسطنطين وتوماس إلى المورة حيث تمكن الأشقاء من السيطرة على بتراس Patras، ومن ثم آخيا مما شكل مصدر قلق للعثمانيين[20].

على الرغم من تلك النجاحات إلا أن الأخوة دخلوا في صراع وتنافس أدى إلى قيام حكومة ثلاثية، حيث استقر تيودور في العاصمة ميسترا، بينما أقام توماس في كلارنتزا Clarentza، أما قسطنطين فقد استقر في كالافريتا Kalavryta، مما أدى إلى اتساع حالة الفرقة والتمزق بين الأخوة[21].

حقيقة الأمر أن الصراع داخل المورة انتقل حول عرش الإمبراطورية البيزنطية، فالإمبراطور يوحنا الثامن قد تقدم في السن وكان عقيماً وكان تيودور يعتبر نفسه الوريث الشرعي لشقيقه الإمبراطور يوحنا، ولكن يبدو أن الإمبراطور كان

يفضل شقيقه قسطنطين الأمر الذي أغضب تيودور وأدى إلى ظهور ما يشبه الحرب الأهلية في الحقبة ما بين عام 1435- 1436م[22].

تجدد الصراع على العرش الإمبراطوري في عام 1443م مع تقدم الإمبراطور يوحنا في السن، الأمر الذي دفع تيودور إلى تغيير مكانه من حاكم على المورة في مسترا ليحكم في تراقيا حتى يكون على مقربة من العاصمة[23]، ليسهل الاستيلاء على العرش عند وفاة الإمبراطور، ولكن الأمر قد تبدل عندما سقط تيودور فريسة للمرض ومات قبل الإمبراطور يوحنا بثلاثة شهور، حيث كان تيودور في آخر حياته قد سئم الخلافات وابتعد عن الحكم ليقضي بقية حياته راهباً في أحد الأديرة[24].

كان الإمبراطور يوحنا الثامن محقاً عندما كان يفضل شقيقه قسطنطين للمنصب الإمبراطوري حيث كان أقدر أبناء مانويل، فقد ولد قسطنطين عام 1404م وأسند إليه حكم سلمبريا Selymbria وما يجاورها ثم انتقل عام 1427م إلى المورة، وقد شارك قسطنطين في حكم المورة حتى عام1437م[25]، حيث رحل إلى القسطنطينية ليحل محل الإمبراطور حتى عودته من إيطاليا بعد حضوره مجمع فلورنسا.

اتبع قسطنطين في المورة نفس سياسة شقيقه تيودور، حيث أجرى مصاهرة دبلوماسية مع الأمراء اللاتين في المورة عندما صاهر كارلو توكو Karlo Toko لورد أبيروس ومعظم المناطق الغربية في بلاد اليونان الغربية عام 1428م، وعلى الرغم من وفاة زوجته بعد عامين دون أن تنجب فقد حصل على أملاكها في البليبونيز وجعلها مركزاً له لغزو بقية شبه الجزيرة[26].

توترت العلاقة بشكل ملموس بين قسطنطين وأخيه تيودور أثناء حكم قسطنطين في القسطنطينية خلال غياب الإمبراطور يوحنا لحضور مجمع فلورنسا في إيطاليا، حيث فسر تيودور ذلك بأنه تمهيداً لتولي قسطنطين العرش، ويبدو أن تيودور كان لديه دوافعه وراء هذا الشك، حيث ظل قسطنطين في العاصمة رغم عودة الإمبراطور يوحنا في بداية شباط عام 1440م، حيث استمر لعدة أشهر من العام نفسه، في حين انفرد توماس و ديمتريوس بحكم المورة[27]، وقد كان أول ظهور لتوماس في المورة عام 1430م عندما أرسل لمساعدة أشقائه في حكمها وهناك تمكن من إتمام مصاهرة دبلوماسية نجح من خلالها في الحصول على إمارة آخيا Achaia 1432م، وكانت قد فقدت ما تتمتع به من ازدهار وقوة في عهد أسرة فلهاردين Vilhardouins وبدأ الانحطاط واضحاً عليها في عهد أمراء انجو الذين كانوا يرسلون من ينوب عنهم في حكمها، وفي بداية القرن الخامس عشر وقعت تحت حكم سنتريوس زكريا وقد طمع كل من ورثته في هذه الإمارة في حين كان البنادقة يعتبرون أنفسهم أحق بها، وعندما تزوج توماس من كاترينا زكريا Cathrina وريثة آخر أمير فرنجي في الإمارة نجح بذلك في الحصوا عليها عام 1432م[28].

غادر قسطنطين العاصمة متجهاً إلى لسبوس Lesbos للاحتفال بزواجه الثاني من كاترينا Catherina ابنة أمير هذه الجزيرة بعد مفاوضات قام بها صديقه فرانتزس، وقد ماتت هذه الزوجة أيضاً دون أن تترك وريثاً، وبذلك يكون آل

باليولوج قد نجحوا بالمصاهرات الدبلوماسية في تحقيق ما عجزوا عنه بالقوة حين اتبعوا في القرن الخامس عشر سلسلة من المصاهرات أدت إلى استعادة الكثير من ممتلكات بيزنطة السابقة في المورة.

عاد قسطنطين إلى المورة ثانية في نهاية عام 1443م ليقتسم حكمها مع شقيقه توماس، حيث حكم الأول الجزء الأكثر أهمية وجعل عاصمته مسترا Mistra بينما حكم توماس الجزء الآخر وجعل مقر حكمه في كلارينزا Clarenza.

وجه قسطنطين اهتمامه بعد استقراره في المورة إلى إصلاح دفاعات هذه المنطقة فأعاد بناء حائط الهكسمليون عام 1444م بمساعدة شقيقه[29]، ثم بدأ في إظهار العداء للسلطان العثماني عن طريق الدخول في حرب مع دوق أثينا نيرو الثاني اكياجولي Nerio II Acciajoil حليف العثمانيين، ونجح في إخضاعه لسلطانه وأجبره على دفع إتاوة سنوية إلى جانب تقديم المساعدة العسكرية له عند الحاجة.

أراد قسطنطين الاستفادة من انشغال السلطان مراد الثاني في ذلك الوقت بحروبه مع المجر، لذلك واصل تقدمه، وفي الوقت نفسه حرض الألبانيين والولاشيين على الثورة ضد العثمانيين[30]، ويبدو أن قسطنطين أساء تقدير قوة السلطان الذي وافق على معاهدة سزجد Sezged عام 1444م، إلا أن الاتفاق لم يسفر عن توقف مشروع الحملة الصليبية، المزمع القيام بها ضد العثمانيين، حيث مارس البابا ايجنيوس الرابع ضغوطه لنقض الاتفاق، وبالفعل التقى الطرفان في فارنا في العاشر من تشرين الثاني عام 1444م، وبعد أن حقق الصليبيين عدة انتصارات سريعة لقوا في النهاية هزيمة ساحقة، وتعد حملة فارنا آخر محاولات الغرب لكبح جماح الزحف العثماني[31].

بعد تحقيق السلطان العثماني الانتصار على الصليبيين في معركة فارنا عام 1444م اتجه لتصفية حسابه مع قسطنطين فتقدمت جيوشه حتى بيوتيا وكذلك أتيكا ودمرها تماماً عندئذ سارع نيرو بطلب المساعدة من السلطان ضد قسطنطين الذي عاقبه على ذلك عن طريق توجيه حملة ضد أثينا واحتلالها، وقد غضب السلطان مراد واعتبر ذلك اهانة موجهة ، لذلك لم يمر وقت طويل حتى عانى قسطنطين مرارة الانتقام عندما طالبه السلطان بإخلاء المناطق التي استولى عليها ولكنه رفض ذلك.

حاول قسطنطين الدخول في مفاوضات مع السلطان تكفل له المكاسب التي حققها وأهمها الإبقاء على سور الهكسمليون ولكن السلطان غضب لهذه الجرأة وأمر بوضع سفراء قسطنطين في السجن.

أراد السلطان العثماني وضع حد لأعمال قسطنطين، فقد خشي من قيام تحالف بين قسطنطين والغرب يزيد من قوة قسطنطين العسكرية، مما يؤدي إلى إفشال المخطط العثماني في إسقاط القسطنطينية، والسيطرة على كامل البلقان والبلوبونيز، الأمر الذي دفع السلطان مراد للتحرك في خريف عام 1446م لمواجهة قسطنطين ووصل حتى سور الهكسمليون واتحدت قواته مع قوات نيرو، حيث لم يلقى أي مقاومة تذكر وشعر قسطنطين بعدم قدرته على مواجهة الجيش العثماني[32]، وكان قد اصطحب مراد الثاني معه جيشاً كبيراً مزود بالمدافع الثقيلة، وبدأ بضرب السور بالمدفعية واستمر لمدة أسبوعين[33]، وعلى الرغم من اتباع قسطنطين كافة الأساليب الدبلوماسية لإيقاف السلطان مراد إلا أنه فشل في ذلك، حيث تقدمت جيوش السلطان مراد في المورة وتم الاستيلاء على بعض المدن مثل باتراس وكورنثة، وتم معاقبة المدن التي قاومت مثل أيونيا، وفي الحقيقة كان السلطان العثماني يرغب في مواصلة تقدمه والسيطرة على

المورة إلا أن قيام اضطرابات في منطقة البلقان دفعه إلى إيقاف تقدمه مكتفياً باعتراف قسطنطين بالتبعية له، وتقديم جزية سنوية[34]، كما أرسلت العديد من المدن الأخرى سفرائها للسلطان العثماني طلباً للصلح[35]، وقد ظهر في هذه المعركة مساوئ اعتماد بيزنطة على الجند المرتزقة[36].

كان دمتريوس يسعى للحصول على العرش الإمبراطوري في القسطنطينية معتمداً في ذلك على مساعدة بعض العثمانيين إلى جانب تأييد معارضي وحدة الكنيسة البيزنطية مع الكنيسة في روما حيث كان دمتريوس قد نصب نفسه قائد للمعارضة لوحدة مجمع فلورنسا، لكن طموحه في الوصول للعرش فشل بسبب وجود قسطنطين،[37]، وكان شعب القسطنطينية قد اتخذ موقفاً سلبياً من مغامرة ديميتريوس لذلك أمكن القضاء عليها وانتهى الأمر بانتقاله إلى مسيمبريا Mesembria، وحصوله فقط على لقب دوق سامي Despot[38].

مع حلول عام 1448م توفي الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثامن مما دفع دمتريوس للإسراع إلى القسطنطينية ونادى بنفسه إمبراطوراً اعتماداً على مساعديه السابقين[39]، إلا أن تواجد الإمبراطورة الأم وسيطرتها على مقاليد الحكم حتى قدوم ابنها قسطنطين وتتويجه أفشل مخطط دمتريوس[40].

كان قسطنطين الحادي عشر ترك المورة تحت حكم أخويه توماس وديميتريوس وتوج إمبراطوراً في ميسترا 1449-1453م على يد مطران مسترا ولم تكن هذه المرة الأولى التي يتوج فيه إمبراطور خارج القسطنطينية قبل التوجه إلى القسطنطينية[41]، وعلى الرغم من عدم جواز ذلك فقد أقره معظم رجال الكنيسة لأنهم قاطعوا جورجي ماماس بطريرك القسطنطينية عقب قرار الوحدة[42].

الأوضاع في شبه جزيرة المورة بين عامي 1449- 1460م:

باعتلاء قسطنطين عرش بيزنطة، ووفاة السلطان مراد الثاني وتولية ابنه محمد الثاني 1451-1480م تكون العلاقات ببين بيزنطة والعثمانيين قد دخلت مرحلة جديدة من مراحل تطورها.

حقيقة الأمر أن كل من توماس وديميتريوس لم يكونوا على وفاق، وكان كل منهما يسعى للسيطرة على أملاك الآخر والتفرد في حكم المورة[43] المقالة ص 18، الأمر الذي سرعان ما أدى إلى نشوب الصراع بينهما وتدخل قسطنطين الحادي عشر لإنهائه قبل أن يضيع كل ما قام بإنجازه[44]. المقالة ص18

خلال هذه الحقبة كانت القسطنطينية تعاني من الحصار العثماني ومهددة بالسقوط نتيجة لضربات المدفعية المستمرة، والتي كانت بأمس الحاجة لتكاتف حكام المورة والوقوف لجانبها، والذين بدلاً من ذلك دخلوا في صراعات داخلية مستمرة، وعمل كل منهما على طلب المساعدة من الخارج ضد الآخر حيث طلب ديميتريوس المساعدة من العثمانيين ضد أخيه توماس في الوقت الذي توجه الآخر لطلب المساعدة من الغرب، مما دفع السلطان العثماني محمد الثاني

الذي كان يرغب في تهدئة الأوضاع داخل المورة ريثما تحين الفرصة المناسبة لاحتلالها، ورغبته في حرمان الغرب الأوربي من فرصة التدخل في شؤون المورة إلى إرسال قائد جيشه طرخان بك عام 1452م لوقف الصراع الداخلي وتهدئة الأوضاع في المدينة[45].

في عام 1453م، واجه الناجون من سقوط القسطنطينية، والذين فروا إلى المورة وضعاً مضطرباً وغير مستقر، فقد وجد هؤلاء الأشخاص عند وصولهم المدينة، أن حكام المورة كل من توماس وديميتريوس باليولوجوس، وكذلك بعض من أقطاب الأسر الحاكمة المحلية، كانوا يفكرون في الفرار إلى روما، وفقط بعد أن توصل السلطان العثماني محمد الثاني إلى هدنة معهم، قرر هؤلاء البقاء في وطنهم لكن حالة الاستقرار والسلام داخل المدينة سرعان ما انتهت بسبب انتفاضة الرعايا الألبان من الحاقدين، حيث أدت الثورة إلى مزيد من التدهور في ريف البيلوبونيز، الذي كان قد دمر بالفعل من قبل التوغلات العثمانية والأجنبية الأخرى السابقة، ونتيجة رغبة السلطان العثماني في الحفاظ على حكم كل من توماس وديميتريوس ريثما يتفرغ للسيطرة على البيلبونيز، ولأنه كان على علم بتحريض البندقية للألبان للقيام بالتمرد لرغبتها في استعادة السيطر على كورنثة، قام بإرسال قائد جيشه طورخان بك عام 1454م لإنهاء التمرد القائم[46].

حقيقة الأمر أن الخلاف الشديد بين حكام المورة كان منذ بداية المسيرة السياسية لحكمهما، فقد كان ميل ديميتريوس باليولوجوس نحو التعاون والتكيف مع العثمانيين، بينما كان شقيقه توماس يفضل باستمرار تدخل القوى الغربية كبديل لقبول السيادة العثمانية[47].

هذا يشير إلى أن الوضع في عام 1453م ربما لم يكن نتيجة خاصة للخلاف بين الحكام، ولم يكن ذلك بالضرورة بسبب الارتباك الناجم عن سقوط العاصمة البيزنطية، وإنما يبدو أنه كان حالة عامة تتعلق بالبنية الداخلية لمجتمع المورة

بعد سقوط العاصمة البيزنطية بيد العثمانيين أدرك كل من ديميتريوس وتوماس بأن السلطان العثماني يريد احتلال المورة ، وأن الإبقاء عليهما في الحكم مسألة وقت ريثما يتفرغ لهما، مما دفعهما إلى طلب المساعدة من الغرب الأوربي ولكن من دون التنسيق بينهما مما أثار غضب السلطان العثماني، الذي توجه إلى المنطقة عام 1454م، وأجبرهم على إعلان التبعية له ودفع الجزية، وحذرهم من طلب المساعدة من الغرب الأوربي ومن ثم غادر[48].

على الرغم من كل المحاولات التي سعى السلطان العثماني لوقف الصراع بين ديميتريوس وتوماس إلا أن حالة الفوضى عادت مع قيام توماس بالسيطرة على العديد من الأراضي التي كانت تحت سيطرت أخيه الأمر الذي أثار غضب السلطان العثماني[49].

أخيراً أراد السلطان العثماني وضع حد للأحداث في المورة من خلال التحرك للسيطرة عليها عام 1460م فقد سيطر في البداية على ميسترا التي كانت تحت حكم ديميتريوس، ومن ثم توجه نحو بقية أراضي المورة التي سقطت بيده وفر توماس إلى كورفو Corfo، ومن ثم إلى روما[50].

وبذلك تكون المورة قد سقطت بيد العثمانيين عام 1460م كما سقطت من قبلها القسطنطينية عام 1453م

خاتمة

سقطت شبه جزيرة المورة بشكل نهائي بيد العثمانيين عام 1460م، ومع سقوطها وسقوط القسطنطينية السالف لها عام 1453م، لم يعد هناك أي أمل في إعادة استرداد القسطنطينية من أيدي العثمانيين، كما حدث بعد سقوطها بيد اللاتين خلال الحملة الصليبية الرابعة عام 1204م، فبينما كان يتوجب على حكام المورة التوحد ومحاولة استرداد القسطنطينية كما كان لمدينة نيقية وابيروس الدور في استعادتها من اللاتين عام 1261م، إلا أنهم على العكس من ذلك دخلوا في صراعات وحروب أهلية غايتها السيطرة على الحكم في المورة مما تسبب في حالة من الفوضى أدت في النهاية لسقوطها بيد العثمانيين.

في الحقيقة هناك العديد من العوامل والاسباب التي كانت وراء سقوط المورة لابدَّ من ذكرها:

1- حالة الكراهية لدى السكان المحليين في المورة تجاه الحكام القادمين من القسطنطينية واعتبارهم غرباء وعدم اهتمامهم بالأوضاع داخل مدينة المورة بقدر اهتمامهم والبحث عن مصالحهم الشخصية.

2- الحروب الأهلية المستمرة بين حكامها أدت إلى هجرة الكثير من الفلاحين من أراضيهم وبالتالي التسبب في نقص الموارد الغذائية داخل المورة بعد أن كانت تعتمد على الاكتفاء الذاتي في مواردها.

3- استغلال الملاكين المحليين حالة الفوضى وعدم الاستقرار داخل المورة لإعلان الثورات والتمرد على الحكام المحليين وطلب المساعدات الخارجية سواء من الغرب الأوربي أو من العثمانيين.

4- عدم اتباع سياسة حكيمة في تهدئة الأوضاع في المورة، وإنما كانت الوسيلة الوحيدة لقمع تلك الثورات والتمردات هو مصادرة الأراضي وتهجير السكان.

5- عدم تقبل الأفكار الاصلاحية التي تدعو لسياسة المساوات وتوزيع الأملاك على الفلاحين والحد من سلطة الملاكين الصغار والنظر لتلك الأفكار على أنها أفكار فلسفية يصعب تطبيقها.

6- استقدام المرتزقة سواء من الألبان أو غيرهم للعمل في الأراضي والدفاع عن المدينة بدلاً من الاعتماد على السكان المحليين مما زاد من حدة الكراهية والنقمة تجاه الحكام المحليين.

7- كان من أخطر العوامل التي أدت إلى سقوط المورة بيد العثمانيين هو تقسيم الحكم داخلها مما تسبب في حالة من التخبط الإداري والسياسي، إلى جانب الصراع بين الحكام الأخوة ورغبة كل طرف في السيطرة على أملاك الآخر مما تسبب في حالة عدم السيطرة على الملاكين المحليين وبالتالي تقديم التنازلات للدول الأوربية أو الدولة العثمانية لقاء تقديم المساعدة لهم لضبط الأوضاع الداخلية.

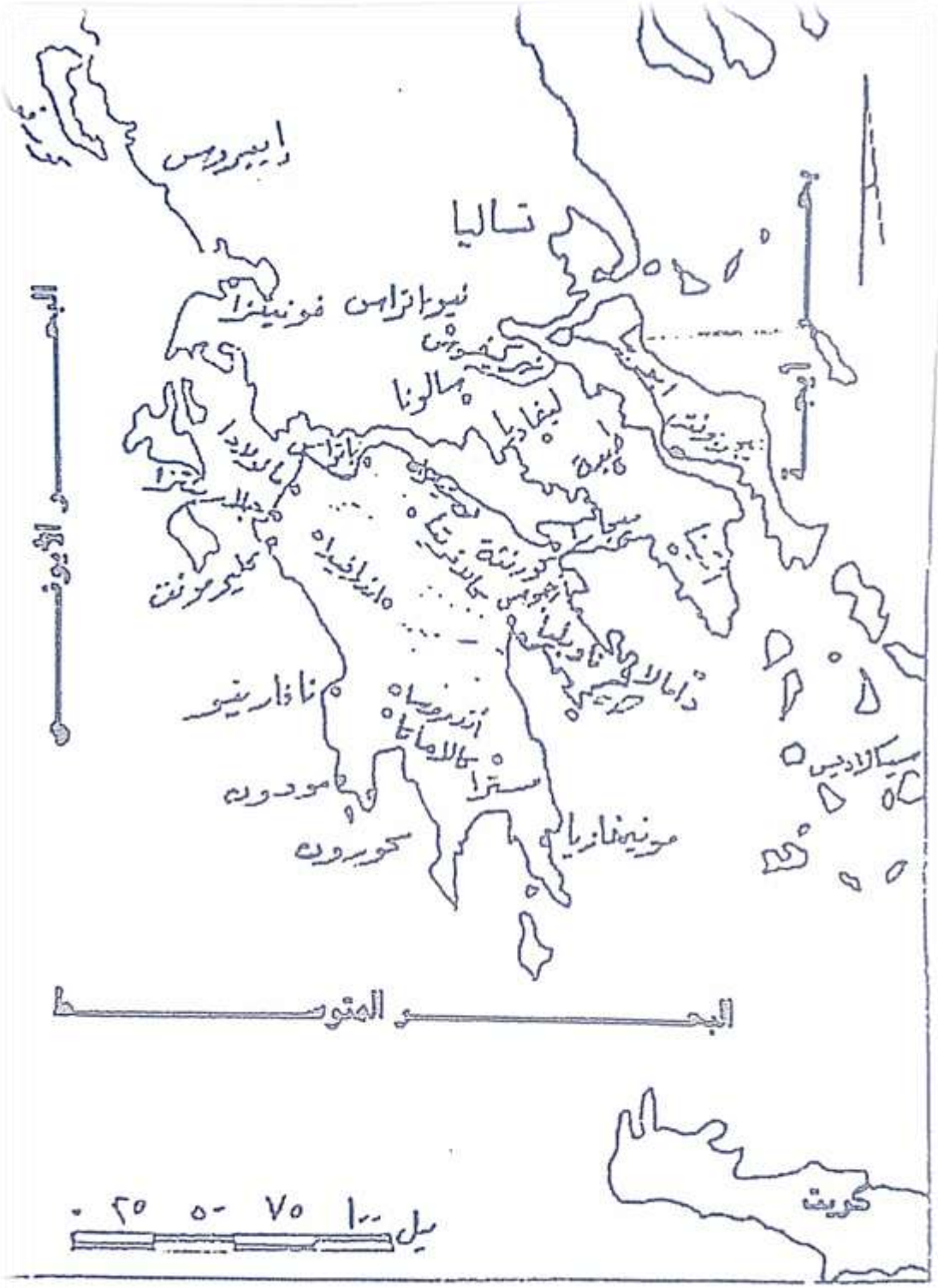

خريطة توضح أهم المناطق والمدن في المورة خلال فترة البحث

المصادر والمراجع

المصادر الأجنبية:

1- Chronicle of Morea: The Chronicle of Morea, Eng. Trans. H.E. lurier, New York, 1964, P. 197-198.
2- Doukas Byzantium: Doukas Decline and fall of Byzantium to the Ottman Turkes, trans. From "Historia. Turkes- Byzantion, by H.J. Magoulias, Detroit, 1975, P. 81.
3- Monumenta peloponnesiaca: Monumenta Peloponnesiaca Documents for the history of the Peloponnese in the 14 th and 15 th centurus, ed J, Chrysostomides, Surrey-UK 1995, pp. 46-99-100.
4- Phrantzes, Annales: Georgus Phrantzes (Sphranrzes) Annnales, CSH, ed. (Boon, 1838).pp. 62-83.
5- Chalcocondylas, Turcicis: Laonicus Chalcocondylas, De Rebus Turcicis, CSHB, ed (BONN-1843). P. 183.
6- Sphrantzes, The fall: G. Sphrantzes, The fall of the Byzantine Empire (1400-1477), trans. By Marios, Philippides, (Amherest, 1980). P.34-35.
7- Phrantzes, Annales: Georgus Phrantzes (Sphranrzes) Annnales, CSH, ed. (Boon, 1838). PP.122-207.
8- Chalcocondylas, Turcicis: Laonicus Chalcocondylas, De Rebus Turcicis, CSH, ed. (Boon, 1843).p. 345.
9- Phrantzes, Annales: Georgus Phrantzes (Sphranrzes) Annnales, CSH, ed. (Boon, 1838).p. 194.

المراجع الأجنبية:

1- Zakythions, Despotat: D. Zakythions, le Despotat Grec de Moree, paris, 1932, p. 130.
2- Dennis, Thessalonica: G. Dennis, The Reign of Manuel II palaeologus in Thessalonica 1382-1387, Rome, 1960, p.124-125.
3- Inalcik, Ottoman Empire: H. Inalcik, "The Ottoman Empire, Organization and Economy, Collected Studies", VR, London, 1978, p. 104.
4- Gibbons, Foundation: H. Gibbons, Foundation of The Ottoman Empire, Oxford, 1916, p. 200.
5- Creasy, History: E. Creasy, History of The Ottoman Turks, (Beirut, 1961).p. 43.
6- Vaughan, Pattern of Alliances: D. Vaughan, Europe and The Turk, A Battern of Alliances 1350- 1700, (Liver Pool).p. 43.
7- Runciman, Fall: S. Runciman, The Fall of Constantinople 1453, (Cambridge, 1965).p. 48.
8- Setton, Papacy: The Papcy and the Levant, voI 2, (Philadelphia, 1977). pp. 11-12.
9- Nicol. Last: The Last Centuries of Byzantium 1261-1453, (Cambridge, 1993). P. 247.
10- Brehier, Vie et Mort: L. Brehier, Vie et Mort De Byzance, (Paris 1947). P.489.
11- Nicol, Family of Kantakouzenos: D. Nicol, The Byzantine Family of Kantakozenos (Cantacuzenus) 1100- 1460, (London, 1968).p. 197.
12- Inalcik, Rise of the Ottoman: H. Inalcik, "The Rise of The Ottoman Empire", CHS, 1/ A, (1979) 295- 323. P. 380.
13- Vasiliev, Empire: A. Vasiliev, History of Byzantine Empire, 2, (Madison, 1971). P.644.

14- Babinger, Mehamed: F. Babinger, Mehamed the Conqueror and his Time, Translated from German by Ralph Manheim, (London, 1978).p. 48.
15- Inalcik, Rise of the Ottoman: H. Inalcik, "The Rise of The Ottoman Empire", CHS, 1/ A, (1979). P.884
16- Nicol, End: D. Nicol, The End of The Byzantine Empire, (London, 1979).p. 82.
17- Pears, Ottoman: V. Paul, Chronique Biliographique "Actualite de Jean Huss", Ist, (1959).p. 692.
18- Runciman, Fall: S. Runciman, The Fall of Constantinople 1453, (Cambridge, 1965).p. 59.
19- Brehier, Vie et Mort: L. Brehier, Vie et Mort De Byzance, (Paris 1947).p. 507.
20- Schlumberger, Siege: G. Schlumberger, Le Siege La Paris et le Sac de Constantinople par les Turcs en 1453, (Paris, 1922).p. 2.
21- Finlay, Greece: G. Finlay, A History of Greece, III, (Oxford, 1877).p. 497.

المراجع العربية:

1- أسد رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ج2، دار المكشوف، بيروت، عام 1955م، صـ 256.

2- خليل اينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد الأرناؤوط، بني غازي، عام 2002م، صـ 33–34.

3- الميرالاي إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية، تقديم ومراجعة حسن الزيني، دار الفكر الحديث، بيروت، د: ت، صـ 29.

4- زبيدة عطا: الترك في العصور الوسطى " بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون"، دار الفكر العربي، القاهرة، عام 1977م، صـ 180.

5- هايد تاريخ التجارة: هايد تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر: أحمد رضا محمد رضا، الهيئة العامة، القاهرة، عام 1991م، صـ 140.

6- إسماعيل سرهنك: الدولة العثمانية، الميرالاي إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية، تقديم ومراجعة حسن الزيني، دار الفكر الحديث، بيروت، د– ت، صـ 37

المجلات:

1- عبد الغني عبد العاطي: عبد الغني محمود عبد العاطي، معركة فارنا الصليبية، مجلة كلية التربية، دمياط، عدد: 17، عام 1992م، صـ 220–222.